

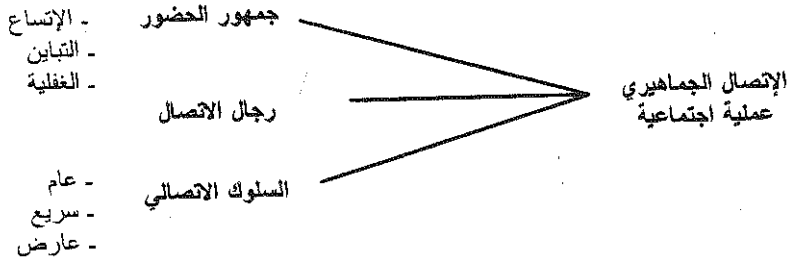
## النشأة التاريخ والتعريف

### ما هو الاتصال الجماهيري؟

تميل في اللغة اليومية لأن نخلط مصطلح «الاتصال الجماهيري» مع مصطلح «وسائل الاتصال الجماهيري». مع ذلك، من المفيد أن تبيين بوضوح الفرق بين المصطلحين.

إن وسائل الاتصال الجماهيري -مجلات، صحف، راديو، تلفزيون - ليست الا وسائل في الاتصال الجماهيري. إن هذا الأخير هو عملية اجتماعية تستخدم تلك الأدوات. إن نقل خبر ما عبر قناة تلفزيونية وطنية هو عبارة عن لحظة في الاتصال الجماهيري بينما لا تعتبر مشاهدة فيلم على جهاز فيديو في المنزل كذلك، فالأمر الحاسم هنا ليس الجهاز التقني لأن الاتصال الجماهيري هو عملية اجتماعية خاصة تتحقق عن طريق استدعاء جمهور الحضور<sup>2</sup> ورجال الاتصال، والسلوك الاتصالي، للاسهام في هذه العملية.

<sup>2</sup> الحضور كمقابل للكلمة Audience والتي تشير الى كل من يتلقى رسالة اتصالية، لذلك كان من الممكن ترجمة الكلمة « بالمتلقين» غير أننا رأينا أن كلمة «الحضور» يمكن أن تعبر عن المضمون بصورة أفضل، إذا أخذناها بمعنى أن من يشاهد عرضاً مسرحياً، أو برنامجاً تلفزيونياً، أو يستمع الى برنامج اذاعي، هو «حاضر» ذهباً لكل ذلك أما المتلقي Recepteur فشير الى من يتلقى الرسالة الاتصالية بصورة سلبية، أي دون الاهتمام بردود فعله. المترجم.



إن مفهوم وسائل الاتصال الجماهيري Mass media من صياغة الكتاب الانكلو- ساكسون من الكلمة اللاتينية (Media وسيلة) ومن الكلمة ( MASS كمية كبيرة)، وتصنف عادة في عداد وسائل الاتصال الجماهيري، الصحف، الراديو، التلفزيون، السينما والإعلان.

إن سوسيولوجيا الاتصال تهتم قبل أية صيغة اتصالية أخرى بوسائل الاتصال الجماهيري على حساب الاتصال بين - الفردي، والسبب يعود الى أهمية وسائل الاتصال في المجتمع.

- تنشئ وسائل الاتصال صناعة كبيرة ومتطورة باستمرار تهيئ فرص عمل للبعض، وتنتج بضائع وخدمات وتغذي صناعات أخرى مرتبطة بها.

- كما تنشئ مؤسسات لها قوانينها الخاصة وقواعدها ومعاييرها التي تربطها بالمجتمع كله. وبالمؤسسات الأخرى، كما أن مؤسسات وسائل الاتصال منظمة، بدورها من قبل المجتمع. إن وسائل الاتصال تهيئ المسرح الملائم حيث تدور عروض ومشاهد الحياة العامة على المستوى الوطني والدولي، وعلى هذا المسرح تنتشر الثقافة وتطرح الأزياء والطرائق والأساليب الجديدة في الحياة.

- إن وسائل الاتصال هي عبارة عن وسائل ممتازة للرقابة والتوجيه والتحديد في المجتمع. - لقد أصبحت وسائل الاتصال جزء متكامل مع الحياة اليومية، الخاصة، والاجتماعية للأفراد، إنها تعبر عن قيم وأحكام مرتبطة بالمعلومات والتسلية.

سنرى فيما بعد - وحيث سيخصص فصل كامل لهذا الموضوع - أن وسائل الاتصال

كؤوسات اجاماعفة منظمة؁ فعكس طفةة المامامع الذف فامام ففه.

### الاماهفر والحضور: LA MASSE ET L'AUDIENCE

لا فمكن اءراك مفهوم الاماهفر - نظرا لعمءء مءلولاءه - بشكل سهل وسفكون أمر فءفءه بشكل كمف بماء مشوبا بالنقص؁ أف انطلاقا من الفساؤل: اعابارا من أف عمءء فمكن أن نطلق على بمموعة من الأفراء كلمة «اماهفر»؟

هءا ءون أن ننفى أن المقفاس الكمف وءءه؁ فر كاف لءءفء «الاماهفر»؁ إن امه على سفبل المائل لفساء امهورا؁ ءلك أن الكلمة فمطى فف الفكر الاجاماعف؁ بمءلول سفلف واففابف فف آن معا؁ ومءلولها السفلف فر فبمط بمعنى «الرعاا؁ أو الحشاء» الذف فوآف فوفوء بمموعة من الأفراء الذفن ففسمون بالآهل والفظاظة؁ أما مءلولها الففابف ففوآف بالقوة والاماسك للذفن فوآءان اماعة العمال المنظمفن. فف هءا الاطار فءءو «الكمفة» مرابطة بالقوة الففابفة الحاملة لمعنى الاسامسان مثل: حركة الاماهفر - سلطة الاماهفر..الخ.

أما فف اللغة السوسفولوجفة الحالفة؁ فإنا ففءء عن مفهوم الاماهفر عنءما ففءو البنى الحافه والمءءءة لمموعة معفنة وفمء فآفر بمموعة من الفظروف إلى الفلاشف وءءما ففقد الأفراء ملامآهم الممفة؁ إن مافمفز الأفراء الماممعفن هنا أساسا لس عمءءهم بل ءرءة فامانهم فف المقام الأول.

فسفخلص عالم الاجاماع هربرء بلومر Herbert Blumer أربعة مركباء أساسفة ممفز؁ كما فر؁ مفهوم الاماهفر: أولاً فمكن لأفراءه أن ففموا إلى أف أصل اجاماعف؁ بشكل مسفل عن وضعهم الاجاماعف وأءءارهم المسفلبة؁ وعن مسفواهم الفقا فف ورفواهم.

فانفا؁ فعف مفهوم الاماهفر اماعة من الأفراء المفلفن anonymes الذفن لس لأف منهم شفصفه مسفلة فآه الآخر؁ فالف: لافمفون سوى علاقاء وفآارب بسفطة ففما ففهم؁ إن

بعضهم منفصل عن البعض الآخر بالمعنى الفيزيائي بوجه عام وليس لهم، باعتبارهم مغفلين، أية فرصة للنضال معا ( أعضاء الحشد مثلا)، رابعا: الجماهير جماعة قليلة التنظيم لهذا فهي تسدو عاجزة عن القيام بفعل مؤثر بتصميم كاف.

إن انتماء أفراد «الجمهور» الى شرائح اجتماعية متباينة أمر كبير الأهمية، لأن هذا يعني أن مصلحة أولئك الذين يشكلون هذا الجمهور، ليست مرتبطة بخلفية اجتماعية وثقافية مشتركة بل توجد بعيدا عنها.

### الحشد بالمقارنة مع الجماهير

الحشد	الجماهير	
متجمعون	مشتتون	وضعهم المكاني
هامة	غير موجودة	العلاقة المتبادلة
قليل - أو آني	لا يوجد، أو ضعيف جداً	التنظيم
مرتبط بالحدث	مركز على موضوع محدد	موضوع المصلحة
عالٍ ولكنه عارض	منخفض	مستوى الوعي

وعلى اعتبار أن أعضاء جمهور ما لا يستطيعون، وبسبب من بعدهم الفيزيائي، الاتصال فيما بينهم، فإنهم مرغمون على النشاط بشكل منفصل وكأفراد.

إن ما يميز الجماهير عن الحشد، هو أنه وعلى الرغم من أن الأخير مكون من أفراد لا تربطهم أي روابط اجتماعية، إلا أنهم يتجمعون في مكان واحد من أجل القيام بنشاط مشترك، إن للحشد سمة أساسية هي اندماج أفراده داخل روح واحد، ومشاعر مشتركة تحجب الخلافات الفردية، فوق ذلك، يبدو أن للحشد، على النقيض من الجماهير، شيئا من الروح الجماعي، بناء على هذه السمات، يبدو بشكل واضح أن «الجماهير» تفتقر الى صفة التجمع كما تفتقر الى التنظيم الاجتماعي وليس لها أي مضمون أو تقاليد.

إنها بدون قواعد محددة وبدون مشاعر انتماء أو بنى منظمة وليس لها زعيم، إنها مكونة، وبكل بساطة، من ركام من الأفراد المنفصلين والمجهولين، إن سلوك الجماهير لا يخضع لأي قاعدة محددة مسبقاً وهو ظهر مع التصنيع، ونشوء المدن، حيث أخذ الإنسان يشهد ظهور كتل إنسانية جديدة أو مزيج من الفئات الاجتماعية عمال أو رأسماليين متقفين أو جهلة لا يهم إلى أي شريحة ينتمون. وانطلاقاً من أجزاء متباينة ومتنافرة يتشكل مركب، انساني متجانس ألا وهو «الجماهير» هؤلاء هم صانعو التاريخ أبطال عصرنا الحاضر.

يجب أن لا نبحث عن أسباب هذا الواقع في تركز وسائل الانتاج والتبادل، كما يرغب أصحاب الرؤية الطبقيّة للمجتمع... وإنما في وسائل الاتصال الجماهيري، كالصحف والراديو... الخ وظواهر الفعل والتأثير. (موسكو فيتشي م 1981 ص 41).

إن السمات الأساسية للجماهير هي، كما لاحظنا قبل قليل، الإبتساع، اللاتجانس، والغفلية، ويمكن تطبيق هذه السمات الثلاث على حضور وسائل الاتصال الجماهيري أيضاً. إن الأمر يتعلق في الواقع بعدد كبير من الأفراد الموزعين في المكان وغير المعروفين الواحد منهم بالنسبة للآخر، ولكن يجب علينا أن نحدد هنا مفهوم الإبتساع بشكل دقيق، ونستطيع اعتبار عدد المستمعين كبيراً عندما يتألف هؤلاء من أفراد ذوي أعداد كبيرة جداً، تمكن «رجل الاتصال» من أن يقيم معهم علاقات اتصالية خلال وقت معقول، أما فيما يتعلق بمقياس اللاتجانس فإن مستمعي الاتصال الجماهيري هم أفراد ذوي سمات اجتماعية في غاية التباين وهم ينتمون إلى أعمار وأجناس وأوساط ثقافية مختلفة، أما مفهوم الغفلية anonymity فلا يعني أن الأفراد يجهل أحدهم الآخر بشكل كلي ولكن يعني أنهم غير معروفين من قبل الاعلامي<sup>3</sup>.

<sup>3</sup> - Le communicateur المرسل أو رجل الاتصال، او الاعلامي.

مع ذلك فاننا لاتقصد الى القول أن الأمر يتعلق بأفراد معزولين ومغفلين، بل على العكس إن الناس، يشاهدون أو يستمعون الى وسائل الاتصال في أغلب الاوقات ضمن العائلة، أو محاطين باصدقائهم وزملائهم.. الخ.. اضافة الى ذلك، عندما يستمع فرد أو يشاهد وسائل الاتصال وحيدا، فهو إنما يفعل ذلك بوصفه فردا ينتمي الى جماعة مرجعية (انظر الفصل 4).

### الاعلاميون : Les Communicateurs

الاتصال الجماهيري عملية اجتماعية منظمة، وأولئك الذين يعملون لدى وسائل الاتصال - سواء أكانت هذه الوسائل صحيفة أو قناة تلفزيونية- يعتبرون جزء من مشروع منظم ومقنون مثل أي مشروع آخر في المجتمع، إن صورة الصحفي المستقل والمعزل أمام آتته الكاتبة هي صورة فات أو انها في الوقت الحالي، إن كل صحفي سواء أعمل في صحيفة يومية أو في محطة راديو أم في قناة تلفزيونية، ينتمي الى مجموع العاملين في مشروعة وينفذ عملا محددًا بدقة داخل فريق عمل محدد.

وإذا كانت هذه الصناعة تختلف في بعض النقاط عن غيرها، فإن هذا لايعود الى ارتفاع أثمان منتجاتها، وهو أمر لايمكن إهماله. إن انتاج برنامج مايكلف غالبا، والدعاية تكلف غالبا، واعداد البث، والنجوم يكلفون غالبا، وهكذا دواليك.

بطبيعة الحال ليست كل وسائل الاتصال مكلفة بنفس المستوى، وكل واحد منا يعلم أن هنالك فرقا واضحا بين التمويل الكلي لصحيفة وبين ذاك المخصص لقناة تلفزيونية، ولكن حقيقة الأمر أن صياغة الرسائل الاتصالية وإنتاجها وتوزيعها جزء من عملية باهظة التكاليف.

إن ملامح التنظيم والتمويل هذه لها منعكساتها الهامة، على تحديد الاتصال الجماهيري بمجموعه. وهي تلامس مباشرة «الاعلامي» كما أن لها نتائج كبيرة على الجمهور، ويقلص تعقيد الانتاج وتوزيعه من الدور الخلاق للفنان ويحيله الى عمل جزئي في سلسلة لا متناهية الطول.

وهكذا يضمحل مفهوم المسؤولية. في الحقيقة هناك كثير من الناس الذين يشاركون في اعداد عمل من الاعمال، بحيث أنه إذا ما حدث حادث ما فإن المرء يجد صعوبة كبيرة في معرفة من هو المسؤول. م. كانتور M. cantor يبرهن أن المنتجين (سنعرض هذه الدراسة في الفصل 5) ليس لهم على الرغم من دورهم الهام في صناعة التلفزيون سوى استقلال ضئيل، كما تشكل الكلفة المرتفعة من جهة أخرى. عائقا امام أي فرد أو جماعة في استخدام وسائل الاتصال لبث رسالتهم الى الجمهور.

### السلوك الاتصالي La pratique communicationelle

يتميز الاتصال الجماهيري عن غيره من الاتصالات - مكاملة تلفونية أو رسالة مثلا - بعدة نقاط أساسية: وهو أنه عام سريع وعابر، والرسائل موجهة الى جمهور من الناس أي الى مستهلكين واعين الطبيعة العامة - وليس الخاصة - للرسائل الاعلامية حيث أن لكل عضو في المجتمع الحق في تلقي هذه الرسائل، والسرعة هي ميزة أساسية أخرى على اعتبار ان الهدف هو ملامسة أكبر عدد من الناس بأقصى سرعة ممكنة، وهذا يبدو مفيداً بشكل خاص، عندما يتعلق الأمر بحوادث هامة للمجتمع بشكل استثنائي، أما فيما يخص الميزة «العابرة» فإنها تحيل مباشرة الى الجانب الزائل من الرسالة، وإذا أخذنا حالة صحيفة يومية على سبيل المثال، فإننا نعلم أن هذه الصحيفة ستفقد كل قيمة لها في اليوم التالي، وهذا يعني أن مضمونها مخصص للاستهلاك في الحال، وتوجد بطبيعة الحال حالات تحيد عن هذه القاعدة، كما هي الحال بالنسبة «لريورتاج» معد للتلفزيون حيث يمكن أن تكون له بعض الفائدة عندما يستخدمه أحدهم كمرجع بعد عدة سنوات، في اعداد «ريورتاج» جديد.

### ظهور وسائل الاتصال:

لوسائل الاتصال، كما توجد حالياً في مجتمعاتنا، بنية تنظيمية محددة، أي مجموعة خاصة من المعايير المؤسسية Institutionnalisées التي تصلها بمستمعيها وقرائها، وكل واحدة من هذه الوسائل أعدت صيغة خاصة في التمويل وحددت بشكل واضح



العلاقات التي تصلها بالمؤسسات الاجتماعية، كما انها جابهت خلال مرحلة النشأة والتأسيس والتجديد مشكلات متشابهة الى حد ما.

إن دراسة النماذج المختارة لوسائل الاتصال ودراسة العوامل الاجتماعية والثقافية المرتبطة بانتشارها توضح المسارات المختلفة التي يمكن لمجتمع ما أن يؤثر ويبنى وسائله تبعاً لها.

يمكننا أن نهتم في دراستنا لتاريخ وسائل الاتصال الجماهيري بأربعة عناصر أساسية: الثقافة، الوسط الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي، والثقافي لمجتمع معين، مجموع الفعاليات، الوظائف أو الحاجات، والناس الذين يسكنون ما يدعى بالمجتمع في لحظة معينة. إن هذه العناصر الأربعة تتداخل فيما بينها بطرق مختلفة تبعاً لكل حالة.

### وسائل الاتصال المطبوعة:

يبدأ تاريخ وسائل الاتصال الحديثة مع اختراع المطبعة عام 1440 الذي يشكل ثورة بحده ذاته، هذا على الرغم من أنه لم يكن يعني في بداياته أكثر من عملية ميكانيكية بسيطة لاعادة الانتاج. مع هذا فإن هذه التقنية ستعمل على تشويش العالم وتدشين عصر جديد أمام الإنسانية، ولكن التغيير لم يكن مباشراً، بل كان علينا الانتظار حوالي قرنين من الزمن بعد اختراع «غوتنبرج» كي يمكن استخدامه في بث جماعي ومنظم.

إن أصل الصحافة يعود الى زمان بعيد، وفي الواقع عرف الرومان قبل ميلاد السيد المسيح، الصحف الجدارية، التي سميت Acta Diurna والتي كانت تعلق في الساحات العامة، كما أن الصينيين والكوريين من جهتهم استخدموا الورق في طباعة الاخبار قبل الاوربيين بقرون.

وفي أوروبا قامت حكومة فينيسيا في القرن السادس عشر بطباعة صحيفة صغيرة كان يمكن شراؤها بقطعة نقدية صغيرة (Gasetta) ، ومنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر، بعد أكثر من مئة عام على اختراع المطبعة يمكن للمرء أن يجد الصحف في كل مكان

تقريباً من أوروبا، ولكن هذه التباشير كانت تشبه الرسائل أكثر مما تشبه الصحف، إنها عبارة عن رسائل حول أحداث الساعة تنتشر من خلال خدمة بريدية بدائية، وقبل طريقة التتصيد كانت الاخبار المكتوبة تعد عادة لحساب التجار أو الصيارفة أو الامراء.

كان يجب الانتظار حتى بدايات القرن السابع عشر، حتى نرى ظهور الصحافة بالمعنى الحديث للكلمة، وعلاوة على العمليات الجديدة للطباعة، كان اختراع الخدمة البريدية التابعة للدولة التي تسهل انتقال المسائل الضرورية أمراً في غاية الأهمية، كانت المطبعة والبريد الشرطين الأساسيين لاختراع الصحافة، مع ذلك كان يجب انتظار عنصر ثالث كي تصبح الأوراق الطائفة المطبوعة، صحفاً حقيقية، وهذا العنصر هو الدورية<sup>4</sup> La periodicite . يمكن القول أن الصحف كانت، بمعنى ما من المعاني، اختراعاً أكثر أهمية من الكتاب المطبوع، كما أن ظهور صحف فعلية كان بمثابة منعطف في تاريخ الاتصال الجماهيري.

إنها المرة الأولى التي يقدم فيها إلى القراء المجهولين معلومات عامة ومفصلة ولا تكون الصحيفة مجرد ناطق دعائي، إن المسألة تشير هنا إلى ظهور اختراع اجتماعي، ثقافي وأدبي في آن واحد.

وتتميزت الصحف الأولى بالظهور المنتظم وبوجود مركز تجاري، ذي أهداف متعددة (أخبار، دعاية، منوعات) وبوجود جمهور عريض.

4 الدورية: أي تصدر الصحيفة بصورة منتظمة وعلى فترات محددة .

جدول رقم 1 نسبة انتشار الصحف اليومية بين 1970 و 1984 (عدد النسخ اليومي لكل 1000 نسخة)

1984	1970	البلد
562	511	اليابان
550	-	المانيا الديمقراطية
535	-	فنلندا
521	538	السويد
501	384	النرويج
469	421	ايسلندا
422	338	الاتحاد السوفيتي
414	-	المملكة المتحدة
392	370	سويسرا
365	-	النمسا
395	363	الدانمارك
350	-	المانيا الغربية
336	375	نيوزلاندا
323	72	ماليزيا
310	315	هولندا
298	254	تشيكوسلوفاكيا
296	321	استراليا
268	303	الولايات المتحدة
277	-	سنغافورة
255	193	بلغاريا
254	213	هنغاريا
223	-	بلجيكا
220	-	كندا
214	209	بولونيا
197	27	كوريا الجنوبية
189	-	الأرجنتين
186	232	إيرلندا
212	238	فرنسا
144	96	إيطاليا

ولعله من المفيد الاشارة الى ان الصحافة الحرة كانت تتطور تاريخيا ببطء اكثر في المجتمعات التي يوجد فيها سلطة مركزية قوية (مثال بريطانيا وفرنسا) بينما تتطور في البلدان التي

توجد فيها سلطة مركزية ضعيفة نسبيا، بسرعة أكبر (مثل الولايات المتحدة).

وبوجه عام، يلاحظ أن توزيع الانباء، والآراء السياسية يصبح أمرا هاما عندما يلعب الناس العاديون دورا مؤثرا في تقرير مصيرهم، والانظمة الملكية القوية أو المجتمعات التي يهيمن فيها نموذج آخر من الحكومات شديدة المركزية، لاتتطلب حوارا عاما أو مشاركة فعالة من المواطنين.

لقد جرى النضال الطويل للفوز بحرية التعبير خلال فترة المحطات الملكية القطاعية العتيقة حيث بدأت بالظهور مفاهيم الديمقراطية الحديثة، وكان أحد الأحداث بالغة الدلالة في المجتمعات الغربية، والتي ساعدت على تطوير الاتصال الجماهيري هو التغيير السياسي الذي تلخص في اعطاء حق التصويت، الى غالبية المواطنين، وهذه هي حال الثورة الفرنسية بوجه خاص، والتي شهدت ازديادا ملحوظا في عدد الصحف.

إن تقاليد الصحافة ترسخت في قلب هذه التحولات الطويلة التي جعلت من الصحيفة ومنذ بداياتها، حلبة سياسيا ومؤثلا للنقاشات العامة.

وبشكل مواز للتقدم التدريجي باتجاه المشاركة في الحياة السياسية، لعب عامل آخر دورا حاسما في هذا الاطار، وهو ولادة الطبقة المدنية الوسطى المرتبطة بالثورة الصناعية، ويجب أن نضيف هنا الى هذه العوامل، التقدم التقني وتحسين الطباعة.

أخيرا، اجتمعت هذه العوامل كلها، مع اتساع الثقافة العامة ومع بناء اولى المدارس العامة في اوربا والولايات المتحدة، لتخلق اتصالا جماهيريا حقيقيا.

- الصحف الرائدة في الصحافة الفرنسية «من» لاغازيت **La gazette** لمؤسسها

رونودو الى «لوبيتي جورنال **le petit journal** لميلو:

لاشك أن الصحافة الفرنسية هي واحدة من أقدم الصحفات في العالم وأكثرها شهرة، ولقد كانت الصحيفة الدورية الاولى التي ظهرت بانتظام هي «لاغازيت» التي أنشأها في 30 ايار 1631 نيوفراست رونودو والتي كانت عبارة عن مشروع تجاري يدعمه الاب

جوزيف الذي كان يحظى بثقة ريشيليو.

كانت هذه الصحيفة التي بدأت بالصدور مرة كل شهرين ثم أصبحت اسبوعية، بادئة بأربع صفحات ثم ثمان، بمثابة الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الحكومة، ولاقت نجاحا باهرا حيث كانت تطبع عدة مئات من النسخ من كل عدد هذا مع التذكير أن نظام الصحافة الفرنسية كان يتسم بسمي الامتياز (حق النشر الممنوح من قبل الملك) والرقابة، وكانت صحيفة «لاغازيت» تدخل في عداد الصحف ذوات السياسة المحددة، وتخضع لمبدأ مصلحة الدولة العليا، حتى أن ريشيليو ولويس الثالث عشر شخصا كانا يزودان «رونودو» بالمعلومات الجاهزة، وكانت معظم المقالات تتحدث عن وقائع عسكرية أو تسرد أخبار المحاكم، وقد عارض «رونودو» بشدة غزو صحيفته بالاعلانات، وكان مع سعيه الى تأمين دعم مالي عن طريق الاعلانات، يعمل على تحسين لاغازيت تجاه دافعي الاموال الكبيرة من المعلنين.

ومع تطور «لاغازيت» كانت الرقابة تفتح عيونها أكثر فأكثر حيث يمكن أن نلاحظ وجود أكثر من مئة حظر ملكي في منتصف القرن السابع عشر وضعت تحت تصرف مدير «المكتبة» ولم تكن الرقابة تقتصر على ضبط النصوص، بل كانت ترسم اتجاهها أيضا، ونتج عن ذلك أن الصحافة كانت في القرن الثامن عشر صحافة محافظة تركز اهتمامها على الاخبار تاركة هامشا ضئيلا للتحليلات والتعليقات.

وكان هنالك الى جانب «لاغازيت» صحيفتان كبيرتان هما «لوجورنال دي سافان» و«لوميركورغالان».

أسس «لوجورنال دي سافان» عام 1665 كصحيفة اسبوعية دينس دوسالو وبمحاية «كولبير» Colbert وكان الهدف الاول لهذاه الصحيفة التي لاقت نجاحا ملفتا، نشر التقارير عن الكتب حديثة الظهور، أما «لوميركورغالان» التي أسست عام 1677 من قبل دونو دوفيزه، فكانت اول صحيفة أدبية في فرنسا.

وتبعت الاقاليم الحركة في هذا الاتجاه بشكل عجول، ويمكننا أن نرى في هذه الآونة ظهور «ليزا فيش دوليون» عام 1748.

لم يكن مثقفو النظام البائد يعتقدون بهذه الصيغة للتعبير عن آرائهم، الأمر الذي يفسر لنا الطابع الامتثالي للصحافة، ويمكن ملاحظة الأمر ذاته أيضا عند اختراع الراديو والتلفزيون.

وفي نهاية عهد لويس الخامس عشر وفي ظل حكم لويس السادس عشر بوجه خاص، بدأت الصحف تتحدى شيئا فشيئا، وبشكل علني، الرقابة، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الصحف اليومية بالظهور، وقد ظهرت أول صحيفة يومية «لوجورنال دوباريس» في 1 كانون الثاني 1777.

وبدأت مع ثورة 1789 مرحلة هامة في تاريخ الصحافة الفرنسية، عندما «ظهرت الصحافة وهي مسلحة بعقل الثورة» كما كتب بعضهم، وفي عام 1789 نصت المادة 11 من إعلان حقوق الانسان والمواطن على «أن الاتصال الحر للأفكار والآراء هو واحد من الحقوق الأعلى بالنسبة للإنسان».

ازداد عدد الصحف الثورية بشكل استثنائي بين 1789 وآب 1792 أي حتى عهد الإرهاب La terreur الذي وضع حدا للحرية غير المقيدة للصحافة، وفي عداد الصحف الأكثر شهرة، والتي ظهرت بشكل منتظم بعض الشيء، يمكن أن نذكر «لوناتريوت فرانسيسي» «ليريسو» «لو كورير دوبروفانس» «لميرابو.» «لي ريفولوسيون دو فرانس إي دوباربارنت» لـ «دمولان»، «لامي دوبويل» لـ «مارات». أما بالنسبة للصحف المعادية للثورة فيمكن أن نشير إلى «لوجورنال بوليتيك ناسيونال».

ومع عهد الإرهاب أوقفت الصحف ذات النزعة الانتقادية الشديدة، وأعدم الصحفيون الجيرونديون على المقصلة ولم يبق في الساحة إلا بعض الصحف شبه الرسمية. بينما غدا قمع الصحافة أكثر قسوة في عهد حكومة المديرين. ولكن هذه الإجراءات الهادفة

## تطور تقنية الصحافة:

إذا كان اختراع غوتنبرغ قد أفاد كأساس لانتشار النصوص المطبوعة مستقبلاً، فإن الفضل في تمكن الصحافة من تحقيق مجدها الحقيقي يعود إلى التحسينات التالية التي حققتها الطباعة. وكل تطوير حققته الصحافة في مجال حرية التعبير كان يرتبط حتماً بالتقدم التقني.

- حوالي عام 1780 استبدل «ديدو Didot» ألواح المرمر بالحديد وألواح البلاطين بالنحاس وتمكن بهذا من مضاعفة سرعة الطباعة مرتين. أما «اللورد ستانوب Stanhope» فكان أول من ابتدع الصحافة المعدنية عام 1795 والتي تم استخدامها منذ 1808 وسمحت بمضاعفة سرعة الطباعة عشر مرات وأصبح بالإمكان سحب 3000 ورقة في اليوم بينما بقي التحبير باليد حتى بداية القرن التاسع عشر حيث كانت بوادر الصحافة المحركة بطاقة غير متولدة من الإنسان قد استخرجت اعتباراً من النموذج الأولي prototype بواسطة الألماني ف. كونيغ F.Koenig عام 1803 واستطاع بعد عامين وبالإشتراك مع بوير Bouer أن يصمم آلية للطباعة يمكن أن يتم الضغط فيها بواسطة الأسطوانة Cylindre وأنجز عام 1814 لصحيفة التايمز اللندنية أول ضغط مزدوج على البخار. كما اخترع عام 1816 الصحافة المطبوعة على الوجه والقفا. وكان اختراع هاو Hoe للطباعة الرحوية عام 1846 في الولايات المتحدة خطوة جديدة إلى الأمام. يقوم مبدأ المطبعة الرحوية على وجود أسطوانتين، الأولى تحمل «الكليشيه» المقابلة لإحدى صفحات الصحيفة، بينما تستخدم الثانية للضغط. وتدخل الورقة بين الأسطوانتين إما على شكل أوراق مرسله أو على شكل بكرات اعتباراً من عام 1865.

وكان اتقان تصنيف الحروف واحدة من الخطوات الحاسمة في التطور التقني للصحافة الذي بقي عدة قرون دون تطوير. حيث كانت النصوص تؤلف حتى منتصف القرن التاسع عشر بشكل يدوي وباستخدام حروف متحركة، وكانت أول آلة لصف الحروف قد اخترعت عام 1884 من قبل ج. ثورن J.Thorne. وفي نفس الوقت اكتشف ماك ميلان Mac Millan نظاماً يسمح بتأمين إعادة آلية للحروف تحتل فيها كل خطوط النص عرضاً

متمثالاً في العمود. وصمم ما رجنتالر Margenthaler وهو مهاجر ألماني، عام 1884 في الولايات المتحدة آلة التنضيد السطري التي استخدمت للمرة الأولى في صحيفة نيويورك تريبيون Newyork Tribune في 3 تموز 1886، والتي أدخلت إلى فرنسا 1890. وتتألف آلة التنضيد السطري من لوحة ملامس شبيهة بتلك الموجودة في الآلة الكاتبة ولكنها تتضمن 90 ملمساً.

## جدول 2- ثبت تاريخي بتقنية الطباعة واستخدامها:

أول استعمال لها	التقنية المكتشفة
1455 الكتاب الأول، الإنجيل.	1440 اكتشاف الطباعة على الخشب من قبل غوتانبرغ.
1605 أول صحيفة دورية في العالم «لي نوفيل دانفير».	1780 ديدو مخترع الطباعة على الحديد.
1631 تيوفراست رونودو يؤسس لاغازيت. La garette.	1795 لورد ستانوب يصنع أول مطبعة معدنية.
1677 لومير كورغالان، أول صحيفة أدبية في العالم.	1803 كوينغ ينجز أول آلة طباعة.
1777 لوجورنال دو باريس، أول صحيفة فرنسية يومية.	1810 - 1816 كوينغ يطور بالتعاون مع بويسر آلة الطباعة.
	1814 صحيفة التايمز تستخدم الآلة الطباعة.
1836 إمبل دو جيراردان يؤسس «لابرس La Presse».	1846 هار يخترع المطبعة الرحوية.
	1876 جيو يخترع الحفر الضوئي.
1863 نشأة لوبيتي جورنال لـ موسى ميللو.	1884 إخراج أول آلة للتنضيد من قبل ج.تورن.
	- مكميلان يكشف النظام الآلي للحروف.
	- مرجنتالر يكشف آلة التنضيد السطري.

وقد أصبحت الرسوم التصويرية ممكنة منذ اكتشاف الحفر الضوئي الذي أنجزه شارل



جيو عام 1876 وسمحت هذه التقنية بإنجاز نقوش بارزة على المعدن مخصصة للطباعة. أما اصطناع «الكليشات» على المعدن فأصبح ممكناً الحصول عليها اعتباراً من «نيكاتيف» تصويري مطبق على المعدن (والذي نسميه كليشيه).

ومنذ ذلك الوقت اجتمعت كل العناصر الضرورية الكفيلة بأن تجعل الصحافة وسيلة حقيقية للاتصال الجماهيري.

### نشأة الصناعة السينمائية:

كما هي الحال في الصحافة، تأثر تاريخ الصناعة السينمائية باكتشافات تقنية متعددة وبصراعات اجتماعية بارزة. غير أن هنالك فارقاً بينهما يقوم على أن الصراعات لم تتعد بين مصالح المالكين المختلفة وبين رقباء هذه الوسائل الجديدة فقط، ولكن بين من يصونون باسم الأغلبية أخلاق المجتمع وبين الذين لم يتراجعوا أمام أي رادع أخلاقي من أجل تحقيق المزيد من الربح أيضاً. إن هذا النمط من الصراع لعب دوراً استثنائياً في تاريخ السينما.

كان اكتشاف السينما في القرن التاسع عشر يعود أساساً إلى التطور التقني ولكنها كانت تستجيب أيضاً للرغبة في تقديم بعض العروض والموسيقا والدعاية للاستهلاك الشعبي الذي كان في اتساع متزايد. كانت السينما تمثل في بدايتها نوعاً من الاستجابة لرغبات الناس في ملء أوقات فراغهم. إن تخفيض ساعات العمل ولّد مشكلة جديدة وهي وقت الفراغ. وكان ممكناً للسينما أن تستجيب لهذه الرغبات سواء على المستوى الإقتصادي (كونها غير باهظة الثمن) أم على المستوى الاجتماعي: إذ أن بإمكان العائلة كلها أن تحضر العرض، حتى يمكن القول أن السينما في بداياتها كانت تشبه إلى حد بعيد التسلية التي نبحث عنها في السيرك. وقد تجاوز اهتمام الطبقة العاملة بهذه التسلية الجديدة كل ما هو متوقع.

إننا نميل في بعض الأحيان إلى أن نعزو مجيء السينما إلى عاملين أساسيين:

عملية علمية — تقنية، وحاجة المجتمعات الحديثة لتنظيم صناعة «المخيال

L'imaginaire». ومن الضروري أن نضيف إلى هذين العاملين اللذين لا يعترض أحد على قيمتهما، عاملاً ثالثاً: قد يكون الأكثر أهمية، وهو الرغبة التي تعتمل في نفوس الطبقات الشعبية تجاه هذه الصناعة الجديدة. إذ بينما كان الطلب على الكتاب يأتي من جانب المثقفين، فإن الطلب على السينما كان مصدره الطبقات العمالية. كانت الكتب تشيع الأفكار الأبلغ دلالة والأكثر أهمية في زمانها، في الفلسفة أو الأدب أو السياسة. أما نجاح السينما فلم يكن مرده إلى المضمون «الرفيع» ولكن إلى الجودة التي تنطوي عليها الحركة. ذلك أن الأفلام التي تعالج موضوعات جدية لم تحظ إلا بنجاح ضئيل. وهكذا وعلى اعتبار أن النجاح يؤدي إلى الربح فإن الأفلام «الجدية» والفنية لم تجد من ينتجها على عكس الأفلام التجارية. وقد تلاقى الذوق العام مع البيئة المالية لهذه الصناعة الوليدة، في خلق إنتاج جماهيري حقيقي منذ السنوات العشر الأولى من القرن العشرين. ومنذ ذلك الوقت بدأ المضمون يخضع لتغيرات هامة. إذ أصبح الفيلم على المستوى التقني أطول وأكثر مرونة وتعقيداً. كما أخذ الناس يطالبون بأن يكون هنالك قصة ومضمون أكثر أهمية. وأصبح الذهاب إلى السينما سلوكاً عائلياً حقيقياً. وستكون ولادة «النجومية» من نتائج هذه الصناعة الخيالية بحيث أصبح الناس يرغبون في رؤية نجومهم المفضلين باستمرار:

وقد استتارت الحرب العالمية الأولى تغيراً بالغ الدلالة في الصناعة السينمائية. واعتباراً من عام 1914 أغلقت الاستوديوهات في أوربا أبوابها، بينما بقي الطلب على الأفلام هائلاً في كل مكان من العالم الغربي. ووجدت السينما الأمريكية نفسها في وضع متميز ستحافظ عليه خلال وقت طويل والذي سيكون من أسباب «أمركة» هذه الصناعة والثقافة السينمائية.

هناك ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عن تلك ومرتبطة بالحرب العالمية الأولى: ألا وهي استخدام وسيلة الاتصال هذه لغايات دعائية وأهداف اجتماعية وقومية. ولم تكن هذه الظاهرة جديدة لأن التأليف بين رسالة ذات فائدة وبين المتعة والتسلية كان يستخدم من جانب الصحافة.

ولكن الأهمية تركزت هنا على كمية الناس المطلوب الوصول إليهم باستخدام رسائل

فيلمية لها بعض المصداقية وكفيلة بالهيمنة على الناس. وحتى ذلك الحين كانت الصناعة السينمائية تنقاد لأذواق الناس أكثر مما كانت تقودها، بينما فتحت الحرب طريقاً جديدة أما الفيلم كوسيلة اقناع (انظر الفصل 8).

### تطور الصناعة السينمائية:

يعود اختراع السينما إلى عام 1832 التاريخ الذي صنع فيه الفيزيائي البلجيكي جوزيف بلاتو ما يُعتبر «السلف الأول» للسينما وهي (النظارة الشخصية). إنها عبارة عن أسطوانة مقعرة لها محور عمودي، تخترقها شقوق طولانية موزعة بانتظام تتتابع أمام مجموعة مختلفة من الصور التي تعطي انطباعاً وهمياً بالحركة.

وبعد «نييس Niece» و «داغر Daguerre» خاصة، أي عام 1839 ستحل الصور الفوتوغرافية محل الرسوم المتحركة في الأجهزة الجديدة. وفي عام 1878 استخدم الفيزيولوجي الفرنسي الكبير «ماري Marey» والمصور الأمريكي الشهير مويبريدج Muybridge النظارة الشخصية المتقنة لتقطيع حركات حصان، ودراسة طيران الطيور.

وبعد عدة سنوات في عام 1882 صنع «ماري» بندقية تصويرية يمكن اعتبارها كسلف أول «للكاميرا». ولكن في كانون الأول 1895 استطاع الأخوة «لوميير» أن يقيموا أول جلسة سينمائية في شارع كوبوسين. ومقابل فرنك واحد كان المشاهدون مدعوين لحضور فيلم قصير جداً. وقد أصبح هذا العرض جماهيرياً خلال عدة أيام واجتذب إليه عدة آلاف من الأشخاص. وكانت الأفلام في البدء تحمل محلّ التسالي الجوّالة وكان المستثمرون الأوائل يقدمون برامجهم في المعارض حتى استخدام الأفلام. ولكن ومنذ بداية القرن العشرين، افتتحت المسارح السينمائية أبوابها في ألمانيا أولاً، ثم في كل مكان من أوروبا وأمريكا. ويمكننا أن نحصى منها في ألمانيا 480 مسرحاً سينمائياً عام 1910، و 2370 عام 1913.

وافتح الأمريكيان مسرحهم السينمائي الأول والمسمى «نيكلوديون». وكان للمشاهد

أن يحضر عرضاً في «لوس انجلوس» عام 1902 مقابل قطعة نقدية صغيرة (نيكل). وبعد ستة أعوام يمكننا أن نحصي 10000 صالة في الولايات المتحدة. لقد ارتبط النجاح الهائل للصناعة السينمائية بمجماهير المهاجرين، حيث كانت غالبية المشاهدين تنتمي إلى جمهور الفقراء العاملين في المدن والمتحدرين من مجموعات أجنبية متباينة، والأميين في معظم الأحيان. وكانت غالبيتهم لا تتقن حتى اللغة الانكليزية وكانت السينما تمثل لهذه الجماهير العريضة والمدنيية نوعاً من التسلية الرخيصة.

كان تطور السينما مذهلاً. وفي الحقيقة كان الانتقال من عصر السينما الحرفية إلى العصر الصناعي سريعاً بالقياس إلى الصحافة. وكان من شأن هذا النجاح غير المتوقع أن يفرض شروطاً جديدة على المنتجين إذ كان عليهم أن ينظموا تبادل الأفلام بين مستثمري الصالات. وبدأت سوق خاصة بالصناعة السينمائية بالانتظام. وبدأ تسويق الفيلم يتم عن طريق مكاتب التوزيع التي فرضت نفسها بين المنتجين وتجار المفرق. وقد أتبعته المنظومة القديمة في البيع بامتيازات مؤقتة لحقوق العرض، بينما سعت الصناعة السينمائية كي تكسب تدريجياً، وسائل ملائمة للإنتاج للجماهير. وهذه الشروط الجديدة أثرت، بطبيعة الحال في تكلفة الفيلم وتصنيعه، وتحول الفيلم من نتاج فرد مبدع إلى نتاج مشروع جماعي. وتلا الأفلام القصيرة التي يقرب طولها من 200 متراً أفلام أطول وأكثر اتقاناً، وصنّع باتيه Pathé أول فيلم بطول 600 متراً ووضع في السوق عام 1907.

وبشكل مواز لذلك، خضع فن عمارة الصالات لتغيرات عديدة حيث تحلت الصالات الصغيرة التي كان يستخدمها الرواد الأوائل مكانها للقصور الفخمة التي تتسع لـ 4000 - 5000 مكان مريح يستجيب إلى متطلبات جمهور ميسور أكثر فأكثر.

كانت الصناعة السينمائية في اتساع مستمر قبل الحرب العالمية الأولى، وحقق المنتجون أرباحاً كبيرة، ويمكن هنا أن نذكر أن باتيه Pathé مثلاً حقق 350000 فرنك ذهبي كعائدات عام 1900 بينما حقق 8500000 فرنك ذهبي خلال سبعة أعوام.

وقد فتح اكتشاف الفيلم الناطق عام 1927 عهداً جديداً لهذه الصناعة التي لم تتوقف

عن اجتذاب الجماهير، المتنوعة المشارب على الرغم من السنوات الصعبة التي مرت بها. وإذا كان جمهور السينما ينتمي في البدايات إلى أوساط متواضعة، فإنها استطاعت أن تغزو بالتدريج جميع الطبقات الاجتماعية.

كان ظهور التلفزيون في نهاية الخمسينات بمثابة الكارثة للسينما. ومنذ ذلك الوقت بدأ التردد على السينما يتراجع، فيما كان عدد مشاهدي التلفزيون في ازدياد مستمر. وبدأ الحال في بداية الستينات وكأنه يسير في هذا الاتجاه: أي أن السينما هزمت على أرضها من قبل التلفزيون. ولكن السينما استطاعت أن تحافظ، مع ذلك، على مكانها في المنظومة الاجتماعية.

### البث الإذاعي:

كان ظهور الراديو ثمرة عدة اختراعات تقنية مرتبطة بالعديد من العوامل الاجتماعية التي قادت إلى البحث عن وسيلة اتصال لخطية.

وتختلط أصول البث الإذاعي مع الإتصال التلفزيوني بواسطة الأمواج والمرتبطة بظواهر فيزيائية معقدة. ولعله من الصعب وضع قائمة تاريخية لهذه المكتشفات لأن الأمر يتعلق ببحوث مختلفة أجريت، وفي وقت واحد، من قبل فرق عمل موزعة في أنحاء العالم.

إن ما ندعوه اليوم «الراديو» لم يكن سوى وسيلة بث عرفت تحت اسم «الإبراق اللاسلكي» أو T.S.F. ويمكن أن نعود بالمصادر البعيدة إلى اكتشافات «فسارادي» «وماكسويل» حول الأمواج الكهربائية، وكذلك إلى تجارب «هرتز» عام 1887 على الأمواج التي أورثها اسمه، ولكن الشاب الإيطالي إ. ماركوني هو من استطاع تنسيق جميع هذه التقنيات الصادرة عن هذه المكتشفات المتعاقبة واكتشف عام 1896 مبدأ الاتصال الراديوي عن طريق نقل إشارة كهربائية عبر الفضاء وحقق الاتصال الصوتي بين السفن المتباعدة الواحدة منها عن الأخرى بمسافة اثني عشر ألف ميل. وكان نقل الصوت الإنساني عبر الفضاء هو الخطوة التالية. حيث استطاع الأمريكي لي دوفورست Lee de Forest،

وانطلاقاً من مكتشفات غراهام بيل G.Bell الذي نجح في أول نقل عام 1876، أن ينجز عام 1907 الأنبوب الراديو - كهربائي الذي يسمح بارتداد الصوت الإنساني. الأمر الذي أدى إلى أن يخلف الراديو الصوتي La radio phonie البرق اللاسلكي La radiotélégraphie . وفي عام 1908 نجح لي فورست في إجراء الاتصال بين باريس - برج إيفل وبين حي «فيل جريف». كما استطاع أن ينقل في كانون الثاني 1910 غناء كاروزو Caruso من دار الأوبرا وعلى مدى 20 كيلو متراً.

كما أصبح، وبشكل مواز لذلك، جهاز الراديو الضخم أكثر خفة وسهولة في الحمل. واستخدم الهاتف اللاسلكي La radio téléphone خلال الحرب العالمية الأولى في العمليات الحربية كواسطة لنقل الرسائل.

ودخل البث الإذاعي التاريخ في تشرين الثاني 1917 عندما أخذ مرسل الطراد «الفجر» ينقل إلى الجيوش الروسية في «بتروغراد» تعليمات اللجان الثورية. أما في فرنسا، بدأ مرسل «برج إيفل» منذ 1922 بث برامج منتظمة مع صحيفة ناطقة وبرامج موسيقية.

وفي نفس العام بثت الإذاعة التي ستصبح الـ ب.ب.سي B.B.C. أخباراً عن طريق الأمواج.

في غالبية البلدان كانت المجموعات المالية الخاصة هي التي أسست محطات الإذاعة T.S.F. وبدأ معها الخلاف على التردد. وأسس في أوروبا عام 1925 الاتحاد الدولي للبث الإذاعي U.I.R من أجل تخصيص أطوال الموجات إلى مختلف المرسلين. كما حدثت الحكومة الفرنسية من تكاثر محطات الإرسال.

وقد أصبح البث الإذاعي بفضل التقدم أكثر طواعية. وكانت الأجهزة تصنع في مجموعات وتباع بسعر زهيد نسبياً وبمكثنا أن نحصى 7 مليون جهاز عام 1928. وكانت الولايات المتحدة بوجه خاص في وضع متقدم في مجال أجهزة الاستقبال. إضافة لذلك كان هناك 604 محطات إرسال عام 1932 و 650 عام 1938، في حين تطور عدد أجهزة الاستقبال من 12 مليون عام 1930 إلى 50 مليون عام 1940. أما في فرنسا فقد كان تطور

الراديو متأخراً نسبياً. إذ لم يكن هناك عام 1933 إلا 138000 جهازاً وتسارع التطور فيما بعد بحيث يمكننا أن نحصى عام 1940 5 مليون جهاز استقبال. ومنحت معظم البلدان وضعاً شرعياً للراديو واحتفظت بعض الدول لنفسها باحتكار البث الإذاعي، بينما تخلى البعض الآخر عنه إلى المبادرة الفردية.

لعل ما كان يحمله الراديو معه من جديد هو قدرته على البث المباشر. ولقد فهم رجال السياسة بسرعة كبيرة الدور الذي يمكن لهذه الوسيلة الجديدة أن تضطلع به في حملاتهم الدعائية. كما أصبح الراديو أداة دعائية ممتازة. حيث سعت ألمانيا النازية كما فعلت إيطاليا الفاشية إلى استخدام الراديو لبث برامج مخصصة لنشر عقائدهم. وخلال الحرب العالمية الثانية لعب الراديو كدعاية عالمي دوراً متميزاً. أما في البلدان النامية، حيث يعتبر الراديو أداة هامة للاتصال السياسي، فإن الاستماع الجماعي كان يسمح بتوسيع جماهير البرامج وساعد على دخول أنماط جديدة في السلوك الاجتماعي.

ومنذ مجيء التلفزيون استخدم الراديو بطريقة أكثر اختيارية من الماضي. ومن المؤكد أن الراديو لم يعد الموزع الشمولي للتسليية والمعلومات. ولكنه بقي، مع ذلك، ضرورياً لجمهور عريض جداً، وبقيت له مهام متعددة في أيامنا هذه. فهو يحوز، أولاً، وبفضل تطوره التقني، على امكانيات ضخمة تسمح له بحركة عالية. وجعل «الترانسيستور» الراديو أكثر حركية. ومنذ ذلك الوقت أصبح حاضراً في كل مكان: في الحمام كما في السيارة، وأصبح حاجة يومية وجزءاً مكتملاً للحياة. وبصفته وسيلة للإعلام، يمكنه أن يزود مستمعيه بتحليلات أكثر تفصيلاً من التلفزيون، وبالنظر إلى أنه أقل ارتباطاً بشبكة برمجية، من التلفزيون، فإن الراديو ينقل الأخبار بوجه عام، بسرعة أكبر. وفي مجال الموسيقى تجاوز الراديو، ومنذ بداياته، التلفزيون بقوة ولم يفقد شيئاً من أهميته بل بقي وسيلة بث ممتازة لدى الشباب. وما زال الراديو يلعب دوراً هاماً في إشاعة البرامج الثقافية، وبوجه خاص في مجالات الأدب والعلوم الإنسانية والعروض...

الجدول 6: عدد أجهزة الراديو لكل 1000 نسمة ( وفقاً لإحصائيات اليونسكو)

العام	1970	1986
فرنسا	315	896
بريطانيا	626	1157
المانيا الاتحادية	318	955
هنغاريا	245	576
الولايات المتحدة	1412	2126
الاتحاد السوفياتي	390	660
اليابان	65	1000
المغرب	60	205
الجزائر	100	223

### نشأة التلفزيون:

إنه لمن الصعب إعطاء تاريخ دقيق لولادة التلفزيون نظراً لأنها كانت نتيجة لتضافر مكتشفات ثلاث: الكهرباء الضوئية Photoélectrisicté التي سمحت بتحويل الطاقة الضوئية إلى طاقة كهربائية، وتحليل الصورة خطأً بخط ونقطة بنقطة. وأخيراً النقل الهرتزي الذي سمح بنقل الإشارة الكهربائية المقابلة لكل نقطة من نقاط الصورة المحللة.

بدأت المحاولات الهادفة لتحويل التيار الكهربائي إلى ضوء منذ 1870 ولكن البراهين النهائية لم تتحقق إلا عام 1911 على جهاز جديد هو الأنبوب المهبطي ( الكاثودي). أما اكتشاف عملية نقل صورة من نقطة إلى أخرى فارتبط باسم رنيه بارتلمي René Barthelemy وهنري دوفرانس Henri de France عام 1929. وقام هذا الأخير، مطبقاً المكتشفات الحديثة في الالكترتون على التلفزيون، بكسح الصورة بواسطة خطوط متشابكة.

في عام 1936 نُفذ في انكلترا أول برنامج تلفزيوني موجه للجمهور. وفي فرنسا بدأ برج إيفل منذ ربيع 1939 بث خمس عشرة ساعة من البرامج كل أسبوع، ولكن لم يوجد



سوى عدة مئات من أجهزة الاستقبال. وتوقف الإرسال في أيلول مع دخول البلاد الحرب. وبعد التحرير في تشرين الأول 1945، بدأ برج إيفل من جديد بث برنامج منتظم مستخدماً منذ ذلك الوقت درجة وضوح تعتمد على 819 خطاً.

في عام 1948 لم يكن التلفزيون موجوداً إلا في الولايات المتحدة ( حيث كان هناك أكثر من 250000 جهاز استقبال) وفي الإتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا.

الجدول 7: عدد أجهزة التلفزيون لكل ألف نسمة ( وفقاً لإحصائيات اليونيسكو)

العام	1972	1986
فرنسا	237	402
بريطانيا	305	534
المانيا الاتحادية	293	379
هنغاريا	201	399
الولايات المتحدة	474	813
الاتحاد السوفيتي	183	321
ساحل العاج	9	54
الجزائر	12	72
تونس	8	69

ولكن تمكنت البلدان الأخرى من إدراك التأخير بسرعة إذ أصبح التلفزيون منذ الستينات وسيلة ممتازة للاتصال.

وإذا كنا نميل إلى أن نأخذ بعين الاعتبار الراديو والتلفزيون في آن واحد - وهذا اتجاه انكلوساكسوني بوجه خاص - فإن ذلك يعود إلى أن لهما، على الرغم من الفوارق الأكيدة بينهما، عدداً من السمات الأساسية المشتركة.

لم يعمل التلفزيون في بداياته، وحتى خلال وقت طويل، سوى على اقتفاء أثر

الراديو، مكملاً إياه بما يحمله معه من خصوصية ألا وهي: المرئي. أما فيما يتعلق بتنظيمه ونظام رقبته فلم يقدم أي شيء جديد فعلياً. وفي معظم البلدان اتبع التلفزيون قواعد الراديو ذاتها. وبالنظر إلى أن التلفزيون لم يكن يمثل جدة حقيقية، فإنه لم يلق مقاومة كبيرة. لقد أصبح خلال وقت قصير - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة وبعدها عدة سنوات في أوروبا - وسيلة اتصال عائلية. وكان نجاحه مباشراً وغير مشروط بالرغم من ثمنه، لدى جمهور. ذي إمكانيات متواضعة. أما الطبقات العليا، وبشكل خاص «الصفوة» فتجاهلته خلال مدة طويلة.

إن التلفزيون يمثل بالتأكيد وسيلة الاتصال التي تعمل على صياغة الأحلام أكثر من أية وسيلة أخرى، ولدى الجميع: المنتجين ورجال السياسة والجمهور. لدرجة يمكن القول معها أنه لم يحدث أبداً أن علقنا على أية وسيلة اتصال مثل هذه الإمكانيات التخيلية. ولعل أبرز دلالات التلفزيون ترتبط بوظيفته «التربوية» المحتملة. ذلك أن هنالك عدداً كبيراً ممن يعتقدون أن الاتصال السمعي - البصري يقدم نفسه كمشروع ديمقراطي لتحرير الثقافي.

وهو يصبح بهذا المعنى مدرسة شعبية كبرى للجمهور. إن هذه التصورات لم تستر دوماً حماساً كبيراً لدى الجمهور. إذ أن مهام التلفزيون تركزت، شيئاً فشيئاً، حول ثلاثة أقطاب أساسية: التسلية، الأخبار، التربية.

إن الوقت الطويل الذي أمضته الصحيفة حتى تم تمثلها، يتعارض مع الانتشار السريع للتلفزيون. وكان من شأن ظهور وسيلة جديدة للاتصال قادرة على تلبية احتياجات المجتمع بصورة فعالة أن يحكم على الوسيلة القديمة بالإهمال. وفي كل مرة تظهر وسيلة اتصال جديدة، تطفو إلى السطح نماذج جديدة للاستعمال. والعوامل المتنوعة من مثل، التصنيع، نشوء المدن وتنظيمها، الهجرة، الحرب، انتشار التربية والتعليم... الخ يمكن أن تسهل أو تعيق تطوير وتبني وسيلة ما. إن وسائل الاتصال مشروطة بعملية دياكتيكية صراعية بين القوى والأفكار المتناقضة الكامنة في نظام وسائل الاتصال وبين الوسائل ذاتها والمؤسسات الاجتماعية الأخرى. وباختصار يمكن القول أن المجتمع يخلق وسائل اتصاله التي تعمل بنورها على صياغة هذا المجتمع.

## كتب إضافية:

- يمكن أن نجد في الملحق الدراسات التي استشهدنا بها إضافة إلى فهرس يمكن للطالب الراغب في أن يعرف أكثر عن سوسبولوجية الاتصال، أن يستخدمه في دراساته المستقبلية.
- ألبيير بير ALbert pierre (1985) الصحافة. باريس . سلسلة ماذا أعرف.
- بال فرانسيس Balle Francis (1988) وسائل الاتصال والمجتمع. باريس . مونكريستيان.
- بلومير هربرت Blumer Herbert (1963) السلوك الجماعي في «مبادئ علم الاجتماع»  
نشر في ألفرد مكالونغ - نيويورك - بارن ونوبل.
- كايرول رولاند Cayrol Roland (1973) «الصحافة المكتوبة والسمعية - البصرية» -  
باريس - الصحافة الجامعية في فرنسا.
- دوفلور ملفان وبال - روكاش (1983) «نظريات الاتصال الجماهيري» نيويورك -  
لونغمان.
- إسكاربيت روبر Escarpit Robert (1976) «النظرية العامة للإعلام والاتصال»
- لويون غوستاف LeBon Gustave (1975) «بسيكولوجية الحشد» باريس - رتزر.
- مكائيل دنيس MC Quail Denis «نظرية الاتصال الجماهيري» بفرلالي - هيلز وساج.
- موسكوفيتشي Moscovici Serge (1981) - عصر الحشود. باريس فايارد.